

التراث التفسيري لعلماء الإباضية في الجزائر دراسة وصفية

The Exegetical Heritage of Ibadhi Scholars in Algeria: A Descriptive Study

حكيي عمر¹، مصباح عيسى²

hakimi omar¹, Mosbah aissa²

hakimi.omar@univ-ghardaia.edu.dz، جامعة غرداية (الجزائر)،¹

mosbah.aissa@univ-ghardaia.edu.dz، جامعة غرداية (الجزائر)،²

تاريخ الاستلام: 2023/06/03 تاريخ القبول: 2023/12/27 تاريخ النشر: 2023/12/31

ملخص:

أولى الإباضية عناية خاصة بمختلف فنون العلم الشرعي، ومكّنوا المكتبة الإسلامية من رصيد تراثي هام، منذ قرونها الأولى، فكان لعلم التفسير نصيب من هذا النتاج المعرفي الثري. تنطلق هذه الورقة البحثية من تساؤل حول أسباب قلة التفسير عند الإباضية، مقارنة بالمجال العقدي والفقي وغيرهما، بخاصة حين تناولها من مدخل مذهبي. تسعى هذه الورقة إلى الكشف عن أسباب قلة التفسير عند الإباضية من خلال منظور المصادر الإباضية وغير الإباضية، كما تتغيًا وضع بيبليوغرافية تعرّف بمؤلفات التفسير عند إباضية المغرب المفقود منها والموجود، مع الإشارة إلى منهجها التفسيري. الكلمات المفتاحية: التفسير - الإباضية- الجزائر، التراث.

تصنيفات JEL :, ...

Abstract:

The Ibadiyya have a particular interest in various branches of Islamic knowledge, and have contributed a significant heritage to the Islamic library since their earliest centuries. As a result, the science of interpretation (tafsir) has been a part of this rich intellectual output.

The paper seeks to uncover the reasons for the scarcity of Ibadi interpretations (tafsir) from both Ibadi and non-Ibadi sources, and also provides a bibliography of Ibadi interpretation works, both lost and extant, while highlighting their interpretive methodology

Keywords: Exegesis – Ibadism – Algeria – Heritage.

JEL Classification Codes: ..., ..., ...

المؤلف المرسل: حكيمي عمر : hakimi.omar@univ-ghardaia.edu.dz

1. مقدمة:

تعدُّ المؤلفات مظهرًا من مظاهر الحياة الثقافية والعلمية في تاريخ حضارة الإسلام، وقد اهتم الإباضية كغيرهم من المذاهب الإسلامية بالتأليف في مختلف صنوف العلم الشرعي، وأسهموا في إثراء المكتبة الإسلامية. يقول أبو زكرياء -صاحب كتاب السير- واصفا العلوم التي اهتم بها الرستميون: «وكان بيت الرستميين بيت العلوم في فنونه؛ من الأصول، والفقه، والتفسير، وعلم اختلاف الناس، وعلم النحو والإعراب والفصاحة، وعلم النجوم»⁽¹⁾.

وتحفظ لنا المصادر الإباضية أسماء عديدة لعلماء نبغوا في علم التفسير، واهتموا به في جلق المساجد والجوامع، وأفردوا وقتًا خاصًا لدرس التفسير، يقول الشماخي متحدثًا عن البرنامج التدريسي لأبي زكرياء يحيى بن زكرياء: «...فإذا صلى الصبح أخذ في قراءة القرآن مع الطلبة إلى أحوال الطلوع، ثم يبتدئ بالتفسير حتى يرتفع النهار ارتفاعًا تامًا، ثم ينصرف إلى أهله»⁽²⁾. من خلال النصين السابقين نجد أن علم التفسير لقي اهتمامًا خاصًا، حيث حظي بمرتبة متقدمة في ترتيب العلوم.

إشكالية الدراسة: ما هي إسهامات الإباضية بالجزائر في الدرس التفسيري؟ وما ملامح منهجهم التفسيري؟

خطة البحث: ينقسم البحث إلى ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مؤلفات التفسير عند الإباضية بالجزائر

الفرع الأول: التفاسير المفقودة :

الفرع الثاني: التفاسير الموجودة.

المطلب الثاني: ملامح عن المنهج التفسيري لتفاسير الإباضية بالجزائر

وذيلتها بخاتمة.

(1) أبو زكرياء: كتاب سيرة الأئمة وأخبارهم، ص 65. الدرجيني: طبقات المشايخ، (56/1).

(2) الشماخي: السير، (256/2).

2. مؤلفات التفسير عند الإباضية بالجزائر

بالعودة إلى المصادر الإباضية نجد أنها ترصد لنا أصنافا من الآثار التفسيرية: بعضها موجود، والآخر في عداد التراث المفقود، مع إشارات عن أعلام عُرفوا باشتغالهم بالتفسير وإن لم تحفظ لهم كتابات في هذا الشأن.

2.1. التفاسير المفقودة:

2.1.1 تفسير عبد الرحمن بن رستم: يأتي في طليعة التفاسير المفقودة تفسير الإمام عبد الرحمن بن رستم المصنف ضمن طبقة تابع التابعين، حيث تثبت المصادر الإباضية أنه كان لعبد الرحمن بن رستم تفسير لكتاب الله تعالى،⁽¹⁾ يقول البرادي: «وكتاب عبد الرحمن في تفسير القرآن يذكره ولم يُرَ»⁽²⁾. ويرجع الدرجيني سبب ضياعه إلى شدة التنافس بين الوهبية والنكّار وتسابقهم إلى شرائه، واستئثار الذي حازه بإخفائه⁽³⁾، غير أن بعض الباحثين المعاصرين احتملوا تلفه إثر حملة العبيديين على تهمرت وإحراقهم لمكتبة المعصومة.⁽⁴⁾

2.1.2 المفسر أبو المنيب محمد بن يانس النفوسي: يعدُّ من الأعلام المشتغلين بالتفسير في العهد الرستمي، حيث تشير المصادر إلى تمكُّنه في التفسير،⁽⁵⁾ فقد انتدبه الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن لمناظرة المعتزلة،⁽⁶⁾ غير أنها لا تحفظ له تأليفا أو آراء تفسيرية، ولعل ما يرجّح اقتصاره على التفسير الشفوي عدم ذكر آرائه في مصنفات تفسيرية بعد ذلك، وهذا خلافا لما ذهب إليه محمد الشيخ بالحاج من احتمال تلف تفسيره مع ما أحرق من مكتبة المعصومة.⁽⁷⁾

2.1.3 تفسير أبي يعقوب يوسف الوارجلاني: يعتبر أبو يعقوب الوارجلاني أحد أعلام الإباضية في القرن السادس الهجري، حيث ترك مصنفات كثيرة، منها تفسيره الكبير الذي توثقه المصادر الإباضية في عداد

(1) الدرجيني: طبقات المشايخ، ص 360. الشّمّاخي: السير، (189/1). عمرو النامي: دراسات عن الإباضية، ص 114. محمد الشيخ بالحاج: القرآن تفسيره ومفسّره، ص 36. أحمد الخليلي: جواهر التفسير، (35/1).

(2) أبو عمار: الموجز، (ملحق كتب الإباضية للبرادي)، (287/2).

(3) الدرجيني: طبقات المشايخ، (471/2).

(4) سليمان ابن يوسف: حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، ص 157. إسماعيل الأغبري: المدخل إلى الفقه الإباضي، ص 126.

(5) الدرجيني: طبقات المشايخ، (58/1).

(6) الشّمّاخي: السير، (155/1).

(7) محمد الشيخ بالحاج: القرآن تفسيره ومفسّره، ص 37.

المفقودات.⁽¹⁾ وإن أشار عدد من الباحثين إلى وجود بعض نسخه في مكتبات أوربية، ولكن دون معلومات تفصيلية عنها.⁽²⁾

وبالاستناد إلى ما ذكره الشماخي من رؤيته لجزء من هذا التفسير،⁽³⁾ يترجّح أن ضياعه كان بعد القرن العاشر، ومن هنا فلا سبيل إلى وصف هذا التفسير إلا من خلال ما ذكره البرادي بقوله -معجبا-: «... وله في تفسير القرآن كتاب عجيب، رأيت منه في بلاد أريغ سفرًا كبيرًا لم أر ولا رأيت قطُّ سفرًا أضخم منه، ولا أكبر منه، وحزرت أنه يجاوز سبعمائة ورقة، أو أقلَّ أو أكثر، فيه تفسير الفاتحة والبقرة وآل عمران، وحزرت أنه فسّر القرآن في ثمانية أسفار»⁽⁴⁾.

ويسعفنا الشماخي في كتابه السير بالإشارة إلى الأدوات التفسيرية التي اعتمدها الوارجلاني في تفسيره بقوله: «ورأيت له بعض تفسير كتاب الله أودعه أنواع العلم؛ من القراءة واللغة والنحو والتصريف والحجج وغيرها»⁽⁵⁾.

2.2 التفاسير الموجودة:

تتوزّع تفاسير الإباضية بالجزائر التي تحويها مختلف مكتبات المخطوطات نوعين من التأليف؛ بعضها تفاسير مستقلة، وبعضها الآخر حواشي على تفاسير أخرى. إضافة إلى كتابات قصيرة تناولت تفسير بعض السور القصار أو رسائل تعتمد إلى تفسير بعض الآيات، وقد حصرت في القائمة الآتية ما كان تفسيرًا كاملاً للقرآن الكريم، أو تفسير السور الطوال، وقد أوردتها معتمدا الترتيب الزمني، وهي:

2.2.1 تفسير كتاب الله العزيز: يعتبر تفسير كتاب الله العزيز لمؤلفه هود بن محكم الهواري (ق 3 هـ) أقدم تفسير جزائري وصل إلينا كاملاً، وهو معتمد الإباضية في التفسير.⁽⁶⁾ وقد أشار محقق الكتاب

(1) الشماخي: السير، (135/2). علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية في الجزائر، (230/1، 232). تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون، ص 130.

(2) ينظر: علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية في الجزائر، (231/1). عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، (416/1). سليمان ابن يوسف: مساهمة علماء الإباضية، ص 27؛ حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، ص 162. محمد الشيخ بالحاج: القرآن تفسيره ومفسّره، ص 38.

(3) الشماخي: السير، (135/2).

(4) البرادي: الجواهر المنتقاة، ص 238.

(5) الشماخي: السير، (135/2).

(6) صالح باجيّه: الإباضية بالجريد، ص 55. إبراهيم بخّاز: الدولة الرستمية، ص 361.

بالحاج شريفي أن هود بن محكم الهواري اعتمد اعتمادا أساسيا على تفسير ابن سلام، واتخذة أصلا لتفسيره.⁽¹⁾

2.2. حاشية تفسر ذي الجلالين: يعتبر أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي (ت: 1187هـ) أحد أبرز علماء الإباضية الجزائريين خلال القرن الثاني عشر الهجري، وقد اشتهر بمصنفاته الكثيرة في العقيدة والفقه، وتميّز في التصنيف في الشروح والحواشي، كمسلك أصيل في التأليف، حيث تطلق عليه المصادر الإباضية لقب المحشي الثاني⁽²⁾ بعد أبي عبد الله محمد بن عمر بن أبي ستّة الجربي.

تقع حاشية تفسير ذي الجلالين في ما يقارب السبعمائة ورقة، وهي حاشية كاملة على تفسير الجلالين، اشتغلنا بتحقيق المقدمة وسورة البقرة ضمن متطلبات درجة الدكتوراه، والعمل جارٍ على إتمام تحقيق باقي الحاشية. يقول علي يحي معمر نقلا عن ملحق لسير الشماخي لأبي اليقظان متحدّثا عن مؤلفات المصعبي: «وله تأليف كثيرة جزيلة النفع، عظيمة الفائدة، منها: حاشية ضخمة في جزئين على تفسير الجلالين»⁽³⁾.

من خلال عبارة علي يحي معمر نخلص إلى أن الحاشية من التفاسير المتوسّعة، سلك فيها المصعبي منهج المقارنة، وفق المقارنة التحليلية، التي تعتمد المقارنة بين أقوال المفسرين، ومناقشتها، ثم الترجيح بينها.

2.2.3 اليمن والبركة في تفسير الهدى والرحمة: ألّفه محمد بن سليمان ابن ادريسو (ت: 1313هـ)، أحد علماء بني يزجن بمزاب خلال القرن الرابع عشر الهجري، حيث عُرف الشيخ بقدرته على التأليف نظما ونثرا⁽⁴⁾ من ذلك تفسيره «اليمن والبركة»، وهو تفسير مخطوط غير كامل، بلغ به سورة آل عمران، وكان مرتكزه في بيان معاني الآيات اللغة والإعراب وقواعد النحو، والاستشهاد بالشعر.⁽⁵⁾

2.2.4 تفاسير قطب الأئمة امحمد بن يوسف اطفيش :

(1) هود بن محكم: تفسير كتاب الله العزيز، (مقدّمة المحقق)، (24/1).

(2) ابن تعاربت: رسالة في تاريخ جربة، ص105. سالم بن يعقوب: تاريخ جزيرة جربة، ص145. بابا عي وآخرون: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، (492/2).

(3) إبراهيم أبو اليقظان: ملحق لسير الشماخي، (52/1). علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية في تونس، ص199.

(4) بابا عي وآخرون: معجم أعلام الإباضية، (379/2)، رقم الترجمة: 821.

(5) مصطفى أمعيز الحاج أحمد: محمد بن سليمان ابن ادريسو ومنهجه في تفسير القرآن، ص51-53.

- هميان الزاد إلى دار المعاد: أولى تفاسير القطب اطفيش، وقد طبع عدة طبعات ()، فقد كان هذا التفسير كأثر لشعور الشيخ بحاجة مذهبه إلى تفسير يعكس وجهة نظر المذهب الإباضي في فهم نصوص الشارع عز وجل، كغيره من المدارس الإسلامية.⁽¹⁾

المتأمل في هذا التفسير لا يوجد للقطب نسقا واحدا، فتارة يقدّم المأثور، وأحيانا أخرى أسباب النزول،⁽²⁾ كما يبرز فيه منحنى التوسّع في المباحث اللغوية والصرفية، ومحاولة تخريج الآية على كل وجوها الإعرابية، مع استطراد واضح في مسائل الفقه.

ولعل ادراك القطب لمنحنى التوسع الذي سلكه في تفسيره، وتركيزه على الجمع أكثر من التمهيد، جعلته يشعر بالحاجة إلى وضع تأليف تفسيرية أخرى، يخلصها مما شاب «الهميان». يقول أحمد الخليلي: "وقد تنبّه لذلك بنفسه، وأسف بعد فوات الفرصة، بسبب انتشار الكتاب، فاستدرك ذلك بتأليف تفسيرين آخرين خالصين مما يشوب الهميان أحدهما "داعي العمل ليوم الأمل" وثانيهما "تيسير التفسير".⁽³⁾

- داعي العمل ليوم الأمل: واصل القطب اطفيش جهوده التفسيرية بتأليف تفسير ثان سماه: «داعي العمل ليوم الأمل» والموجود منه في مكتبات المخطوطات تفسير الأحزاب الأخيرة من القرآن الكريم بدءًا من سورة الرحمن.⁽⁴⁾ بما يطرح تساؤلا حول بقية التفسير، ولماذا بدأ القطب بالمفصل؟ فذهب محمد علي دبوز إلى أن القطب كان عازما على إتمام التفسير، غير أن الأجل داركه قبل تمامه، وذهب إبراهيم طلاي واستنادا إلى قرائن من داخل التفسير ترجّح أنه فسّر بعض القرآن، ثم انتقل إلى تأليف آخر مستقل.⁽⁵⁾

تطالعنا بشارات أخبار فهرسة مكتبات بعُمان عن وجود نسخة كاملة لداعي العمل ليوم الأمل، بمكتبة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، والتي هي أثار مكتبة الشيخ أبي إسحاق اطفيش نزير القاهرة،

(1) محمد بن يوسف اطفيش: هميان الزاد إلى دار المعاد، دط، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1401هـ/1980م، (مقدمة الناشر)، (3/1).

(2) يحي بوتردين: الشيخ اطفيش ومذهبه في تفسير القرآن، ص186.

(3) محمد مصطفى الخواجا: منهج الشيخ اطفيش في تفسيره تيسير التفسير، ص70.

(4) أحمد بن حمد الخليلي: جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، ط1، مكتبة الاستقامة، مسقط، سلطنة عمان، 1404هـ/1984م، (37/1).

(5) محمد السيد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، (233/2).

ولعل الأيام تتيح الوقوف على هذا السفر القِيم، والكشف عن منهجه، غير أن ما بين أيدي الباحثين من أجزاء قليلة مكنهم من تصور ملامح عن منهج القطب في هذا التفسير وهو أنه قد صبغه بصبغة التطويل والتوسع في المباحث النحوية واللغوية خاصة،⁽¹⁾ بما يجعله لا يبعد كثيرا عن منهجه في تفسيره الأول «هميان الزاد».⁽²⁾

- تيسير التفسير: أشار القطب في مقدمة تفسيره الثالث «تيسير التفسير» إلى الباعث على تأليفه فقال: «فإنه لما تقاصرت الهمم عن أن تهيم بـ "هميان الزاد إلى دار المعاد" الذي ألفتَه في صغر السن، وتكاسلوا عن تفسيري "داعي العمل ليوم الأمل"، أنشطت همّي إلى تفسير يُغبط ولا يُمل».⁽³⁾ يكشف النص السابق أن القطب أنشط همّته لتأليف مستقل عن تفسيريه السابقين، لا ما ذهب إليه محمد حسين الذهبي حين اعتبر «التيسير» اختصارا لهمايان الزاد.⁽⁴⁾ يقول القطب مبشرا بقرب تمام التيسير: «ولاسيما التيسير الذي قرب -إن شاء الله الرحمن الرحيم- كماله، والله ما ذكرته إلا لترغبوا فيه؛ لأنه غير طويل، بل متوسط مع جمعه ما ليس في المطوّلات والحمد لله».⁽⁵⁾

انتشر تفسر التيسير في المكتبات، وحظي باهتمام الدارسين والباحثين، وأقبل عليه الطلبة يتدارسونه في الحلقات المسجدية؛ وهذا لما أودع فيه القطب من آراء المفسرين، من أغلب المدارس الإسلامية، مع بيان وجهة نظر الإباضية.⁽⁶⁾ يقول أبو إسحاق اطفيش: «ومن وقف على تفسيره تيسير التفسير شاهد تبخّر في علوم القرآن وغزارة مادته ومقدرته على إظهار حقائق التفسير».⁽⁷⁾ تتابعت على التيسير جهود علمية، منها «مختصر تيسير التفسير» الذي اختصر فيه إبراهيم طلاي الربع الأخير من القرآن، مقتصرًا على ما يخدم الآية القرآنية ويعين على فهمها دون الإغراق في المباحث اللغوية والنحوية، تسهيلا لفهمه، وتشجيعا للطلبة على مطالعته.⁽⁸⁾

(1) ينظر: دبوب: نهضة الجزائر، (315/1)؛ اطفيش: تيسير التفسير، (مقدمة المحقق)، (1/غ).

(2) يحي بوتردين: الشيخ اطفيش ومذهبه في تفسير القرآن، ص 191-193.

(3) اطفيش: تيسير التفسير، (1/1).

(4) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، (236/2).

(5) اطفيش: كشف الكرب، (96/1).

(6) محمد عكي علواني: اطفيش ومنهجيته في تفسيره التيسير، ص 282.

(7) اطفيش: الذهب الخالص، (مقدمة أبو اسحاق)، ص:هـ.

(8) إبراهيم بن محمد طلاي: مختصر كتاب تيسير التفسير، (1/أ).

2. 5 في رحاب القرآن: يعتبر إبراهيم بن عمر بيوض (ت:1401هـ) مؤلف هذا التفسير أحد أعلام إباضية المغرب في العصر الحديث، فهو العالم المفسّر، والوطني المقاوم للاستعمار، والزعيم المصلح، اتخذ من القرآن منطلقاً لإصلاح الأمة، وتربية الأبناء، والسعي لتحقيق نهضة اجتماعية بالقرآن؛ ليكون القرآن المحور في مختلف مجالات الحياة.⁽¹⁾

كان الشيخ بيوض يقدّم درسه التفسيري في المسجد مشافهة، حيث يحضره عموم الناس، فلم يكن قاصراً على طلبة العلم، يقول الشيخ بيوض: "اخترت المسجد ليكون معهداً لتفسير كتاب الله؛ لأنه يحضره الناس كلّهم رجالاً ونساءً شيباً وشباباً وكهولاً".⁽²⁾ غير أن قرابة نصف القرآن لم يتم حفظه، حيث شُرع في التسجيل بدءاً من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:70]، وهذا بعد دخول الكهرباء في بلدة القنارة سنة 1957م.⁽³⁾ وقد تكرّم الأستاذ عيسى بن محمد الشيخ بالحاج في تنزيل المسجّل إلى المكتوب، وتحريره وتصحيحه، ثم طباعته في ست وعشرين جزءاً.

وتطالعنا الأيام ببشارة مدوّنات حفظت جزءاً من تفسير الشيخ بيوض قبل زمن التسجيل الصوتي، كتبها الشيخ حمو بن عمر فخار فخار (ت:1424هـ) أثناء تلمذه بالقنارة في أواخر الثلاثينيات وبداية الأربعينيات، تضمّنت تفسير أجزاء من الربع الأول وبعض سور المفصل، وقد تولى مراجعة هذا النتاج الثمين وإخراجه الدكتور مصطفى بن صالح باجو، وسَمّه بـ «في رحاب القرآن الشطر المفقود».⁽⁴⁾

2. 6 نفحات الرحمان: للشيخ محمد سعيد كعباش: يعدّ الشيخ محمد بن إبراهيم سعيد، المعروف بـ (كعباش) من علماء الإباضية المعاصرين بوادي مزاب، وأحد القامات العلمية السامقة التي كان لها فضل في المساهمة في مقاومة الاستعمار، والمشاركة بحماس في مرحلة ما بعد الاستقلال الوطني فكرياً وتربوياً واجتماعياً.

بدأت رحلة الشيخ كعباش مع درس التفسير من خلال تفسير بعض السور التي تُتلى في المناسبات كسورة (يس) وسورة (الأنعام)،⁽⁵⁾ فكان درس الرجال في المسجد، ودرس النساء في دور خاصة بهن؛ مركزاً عنايته برَبّات البيوت؛ لما عاينه فهن من الجهل المطبق بأبسط الواجبات الدينية.⁽⁶⁾

(1) إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، دط، (397/22)؛ مهرجان ختم تفسير القرآن الكريم، (كلمة الشيخ إبراهيم بيوض)، ص23.

(2) إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، (مقدمة محمد ناصر)، (34/1).

(3) دبور: نهضة الجزائر، (77/3).

(4) ينظر: إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن الشطر المفقود، (17/1، 18، 21).

(5) محمد سعيد كعباش: شرح الصدور لتفسير سورة النور، دط، جمعية النهضة، غرداية-الجزائر، 1428هـ/2007م، ص7.

استثمارا لتجربته الأولى المباركة، شرع الشيخ كعباش في السير في درس التفسير، على ترتيب سور المصحف الشريف بدء بسورة الفاتحة فالسور الطوال، وهذا منذ 1969م.⁽¹⁾

اعتنى الشيخ كعباش بحفظ دروسه في التفسير والحديث في أشرطة سمعية مرتبة ومرقمة في مكتبة المسجد، غير أن المناخ الحار أثر على بعضها فكاد ينطمس الصوت منه،⁽²⁾ الأمر الطي حفز الشيخ على تأليف التفسير وعدم الاختصار على الأشرطة المسجلة.⁽³⁾

عزّز الشيخ كعباش على الشيخ عدون شريفي رحمه الله المشروع التأليفي للحلقة الغائبة من تفسير الشيخ بيوض،⁽⁴⁾ فاستبشر الشيخ عدون للخبر ودعا الله تعالى للشيخ كعباش بطول العمر؛ حتى يُكْمَل تفسير القرآن بأكمله.⁽⁵⁾ وقد حقّق الله رجاء الشيخ عدون ودعائه المبارك فأتّم الشيخ كعباش تفسير القرآن الكريم كاملا في فيفيري 2015م، يرافقه مشروع تأليف التفسير تباعا.

3. ملامح عن المنهج التفسيري لتفاسير إباحية المغرب

تنوّعت مناهج التفسير في كتب الإباضية تبعا لتطور حركة التأليف في علم التفسير، فقد كان تفسير كتاب الله العزيز» لهود بن محكم الهواري مهتما بالرواية، مقتصرًا في غالبه على المأثور، غير متوسّع في اللغة،⁽⁶⁾ متبعا منهج أهل النقل، يقول الشماخي في معرض وصف منهج الشيخ هود: «هود بن محكم الهواري عالم متفنّن غائص، وهو صاحب "التفسير"، وهو كتاب جليل في تفسير كتاب الله، لم يتعرّض فيه للنحو والإعراب بل على طريقة المتقدمين»⁽⁷⁾.

(6) محمد سعيد كعباش: نفحات الرحمان في رياض القرآن، دط، جمعية النهضة، غرداية- الجزائر، 1424-1436هـ/2003-2015م، (1/خ).

(1) كعباش: نفحات الرحمان، (1/د).

(2) كعباش: رحلة العمر، ط1، مكتبة التوفيق، العطف-غرداية- الجزائر، 1436هـ/2015م، ص120؛ نفحات الرحمان، (1/د).

(3) كعباش: نفحات الرحمان، (1/د).

(4) شرّع في تسجيل تفسير الشيخ بيوض بدء من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:70]، وذلك بعد دخول الكهرباء إلى القرارة في: 28 فيفيري 1957م. ينظر: محمد علي دبو: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1389هـ/1969، (77/3).

(5) كعباش: رحلة العمر، ص280.

(6) علي يحيى معمر: الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية في الجزائر، (1/138).

(7) الشماخي: السير، (77/2).

وإذا أتينا إلى حاشية المصعبي على الجلالين، فإننا نجد أن سمتها التوسع من خلال توظيف المباحث اللغوية والصرفية والبلاغية، والإفادة من آراء المفسرين، وهذا يتناسب وطور التفرع في التأليف في علم التفسير، حيث كثرت الحواشي والشرح، وإن تجاوز المصعبي في هذا دائرة المذهب، فحسب على مؤلف غير إباضي، بما يخدم تضيق شقة الخلاف بين طوائف المسلمين، ويعزّز وحدة الكلمة، على مبدأ المعرفة والتعارف والاعتراف.

وأما عن تفسير «اليمن والبركة» فلم يخرج عن دائرة التفسير بالرأي، الذي تعزّزه الآثار، ولعل تفاسير القطب إجمالاً كانت وفية للمنهج الأثري، مع توسّع ظاهر في اللغة والنحو والاستشهاد بالشعر، وهي سمة بارزة في تفاسير مرحلة التفرع كما ذكرنا قبل.

أما تفسير «في رحاب القرآن» لإبراهيم بيوض، وتفسير نفحات الرحمن لتلميذه الشيخ كعباش فقد جاء متجاوباً مع سمات مرحلة التجديد في التفسير التي وضع معالمها الشيخ محمد عبده، حيث نحي الشيخ بيوض وتبعه الشيخ كعباش بعد ذلك المنحى الإصلاحية الهدائي، وهو ما اصطاح عليه الذهبي باللون الأدبي الاجتماعي في التفسير.

نهج الشيخ بيوض في تفسيره مسلك الشيخ عبد الحميد بن باديس في درسه التفسيري، متّخذاً من القرآن معلّم إصلاح للأمة، وترشيد لها. يقول الشيخ بيوض: "وغرضنا من تفسير كلام الله تعالى إنّما هو الاتّعاظ والاعتبار، وإلا فالتفسير له وجوه كثيرة من حيث البلاغة والنحو والصرف والتأريخ، ولكنّ الأصل هو تدبّر كلام الله تعالى بالكيفية التي تؤثّر على القلب القاسي حتى يلين، وعلى القلب المنحرف حتى يستقيم، وعلى القلب الموبوء حتى يعالج، وعلى القلب المريض حتى يصحّ"⁽¹⁾.

بناء على ما سبق: يمكن تصنيف غالب تفاسير الإباضية ضمن التفسير بالرأي المحمود،⁽²⁾ الذي يقوم على جواز الاجتهاد وإعمال العقل المستنير بنصوص الوحي، وأدواتهم في ذلك تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وتفسير القرآن باللغة وقوة الفهم، مع عناية بالقراءات وأسباب النزول، والمكي والمدني.

(1) إبراهيم بيوض: في رحاب القرآن، (361/21).

(2) الزرقاني: مناهل العرفان، (34/2).

وبالجملة فإن الإباضية يصدر عن تفاسيرهم عن أصول وقواعد وظفوها في فهم النص القرآني، وقد تضمنت تفاسيرهم تلك الأصول التي استندوا إليها، وهو ردُّ على مقالة الذهبي حين اعتبر الإباضية كباقي الخوارج، عرفوا بسطحية النظر في الآيات، وسخافة في فهم نصوصه.⁽¹⁾

ولا شك أن الاهتمام بالدرس التفسيري تدريسا وتأليفا هو سمة بارزة عند الإباضية، فلا تزال المساجد تشهد جنباتها دروسا تفسيرية أسبوعية، كتفسير الشيخ كعباش حفظه الله ببلدة العطف الموسوم بـ «نفحات الرحمن» الذي أتمه منذ عشر سنوات، وبذل له من العمر ما يزيد عن أربعة عقود، وتفسير الشيخ محمد بن أيوب صدقي ببني يزقن، وصنيع الدكتور مصطفى باجو في حلقاته التفسيرية الأسبوعية ببلدة غرداية، وقد بلغ سورة الأنعام، وجهود تفسيرية أخرى تذكر فتشكر.

4. الخاتمة.

في ختام هذه الورقة البحثية نسجل النتائج الآتية:

1. كشفت المصادر عن جهود علماء الإباضية في خدمة علم التفسير تدريسا وتأليفا، وإن برزت العناية أكثر بهذا العلم بعد القرن الحادي عشر الهجري، وقد تنوعت هذه المؤلفات بين تفاسير مستقلة وأخرى كحواش على تفاسير سابقة.

2. يمكن تصنيف تفاسير الإباضية ضمن التفسير بالرأي المحمود، حيث الجمع بين المنقول والمعقول، وتوظيف اللغة وقوة الفهم مع الاستئثار بالآثار الصحيحة كأدوات لتوسيع معاني النص القرآني.

3. تبقى الآمال معقودة على الباحثين لإخراج التفاسير التي لا تزال حبيسة الخزائن، وإخراجها إخراجا علميا، خدمة للقرآن الكريم، وتحقيقا لهداية الناس.

ختامًا: الشكر موصول بالتقدير والامتنان لقسم العلوم الإنسانية، وكلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية بجامعة عباس لغرور، بخنشة على إتاحة مثل هذه المناسبات العلمية، لتعميق الرؤى، ورسم معالم رشيدة تعزّز مرجعيتنا الإسلامية والوطنية.

كلل الله مساعيكم بالنجاح، وأوفاكم أجرًا.

(1) محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون، (2/229).

5. قائمة المصادر والمراجع

1. ابن تعاريت، سعيد بن الحاج علي (ت:1355هـ): رسالة في تاريخ جربة، (مخ)، 120 ص، دنا، دت، جمعية الشيخ أبي إسحاق اطفيش، غرداية - الجزائر، رقم:110، (نسخة مصورة).
- ابن يوسف، سليمان بن داود (ت:1412هـ) :
2. حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي، دط، مطبعة أبو داود، الحراش - الجزائر، 1993 م.
3. مساهمة علماء الإباضية في علم التفسير والحديث والفقه والبيان، دط، مطبعة أبو داود، دم، 1992 م.
4. أبو اليقظان، إبراهيم بن عيسى (ت:1393هـ): ملحق لسير الشماخي، (مخ)، مكتبة الشيخ عبي سعيد، غرداية، (نسخة مصورة).
5. أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر (ت:474هـ): كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح: إسماعيل العربي، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 م.
6. أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب (ت:قبل 570هـ): الموجز «آراء الخوارج الكلامية»، تح: عمار طالي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2013 م.
- اطفيش، امحمد بن يوسف (ت:1332هـ) :
8. الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، ط2، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1400هـ/1980 م.
9. تيسير التفسير، تح: إبراهيم بن محمد طلاي، دط، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1424هـ/2003 م.
10. كشف الكرب، دط، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1405هـ/1985 م.
11. هميان الزاد إلى دار المعاد، دط، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1401هـ/1980 م.
12. الأغبري، إسماعيل بن صالح بن حمدان (معاصر): المدخل إلى الفقه الإباضي، ط1، مكتبة الضامري، السيب - سلطنة عمان، 1434هـ/2013 م.
13. أمعيز الحاج أحمد، مصطفى بن محمد: محمد بن سليمان ابن ادريسو ومنهجه في تفسير القرآن، قسم التخصص، معهد الحياة، القرارة-غرداية-الجزائر، السنة الجامعية:1421هـ/2000 م.

14. باباعمي، محمد بن موسى وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، قسم المغرب الإسلامي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1421هـ/2000م.
15. باجيّه، صالح: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، ط1، دار بوسلامة، تونس، 1396هـ/1976م.
16. بحاز، إبراهيم بن بكير (معاصر): الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط3، منشورات ألفا، الصنوبر البحري - الجزائر، 1431هـ/2010م.
17. البرادي، أبو القاسم بن إبراهيم: الجواهر المنتقاة، ط1، دار الحكمة، لندن، 2014م.
18. بوتردين، يحيى بن صالح (معاصر): الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ومذهبه في تفسير القرآن بالمقارنة إلى تفسير أهل السنة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، مصر، 1410هـ/1989م.
- بيوض، إبراهيم بن عمر (ت:1401هـ) :
19. في رحاب القرآن الشطر المفقود من تفسير أجزاء من الربع الأول، تحرير: حمو بن عمر فخار، تح: مصطفى بن صالح باجو، ط1، مؤسسة المنار، الحمير، الجزائر، 1440هـ/2018م.
20. في رحاب القرآن، دط، جمعية التراث، القارة، الجزائر، 1419هـ/1998م - 1436هـ/2015م.
21. مهرجان ختم تفسير القرآن الكريم، دط، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1989م.
22. تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية، تر: ماهر جرار وريما جرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 2000م.
25. الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد (ت:1431هـ): تاريخ الجزائر العام، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، 1384هـ/1965م.
26. الخليلي، أحمد بن حمد (معاصر): جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل، ط1، مكتبة الاستقامة، مسقط، سلطنة عمان، 1404هـ/1984م.
27. الخواجا، محمد مصطفى درويش: منهج الشيخ امحمد اطفيش في تفسيره تيسير التفسير، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1994م.
28. دبوز، محمد علي (ت:1402هـ): نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، المطبعة التعاونية، دم، 1385هـ/1965م.

29. الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت:670هـ): طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، دط، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، دت.
30. الذهبي، محمد حسين (ت:1397هـ): التفسير والمفسرون، دط، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، دت.
34. الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت:1367هـ): مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، دت.
35. سالم بن يعقوب (ت:1408هـ): تاريخ جزيرة جربة ومدارسها العلمية، إعداد: فرحات بن علي الجعبري، ط2، مجموعة سراس، تونس، 2006م.
36. الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت:928هـ): السير، دط، المطبعة البارونية، القاهرة - مصر، 1301هـ.
37. الشيخ بالحاج، محمد بن بابا (ت:1443هـ): القرآن تفسيره ومفسروه السنة روايتها ورواتها، دط، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1984م.
38. طلاي، إبراهيم بن محمد (ت:1443هـ): مختصر كتاب تيسير التفسير، دط، دن، دم، دت.
39. عكي علواني، محمد: محمد بن يوسف اطفيش ومنهجيته في تفسيره التيسير، رسالة ماجستير، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر، 1411هـ/1990-1991م.
- كعباش، محمد بن إبراهيم سعيد :
40. رحلة العمر، ط1، مكتبة التوفيق، العطف-غرداية-الجزائر، 1436هـ/2015م.
41. شرح الصدور لتفسير سورة النور، دط، جمعية النهضة، غرداية-الجزائر، 1428هـ/2007م.
42. نفحات الرحمان في رياض القرآن، دط، جمعية النهضة، غرداية-الجزائر، 1424-1436هـ/2003-2015م.
- معمّر، علي يحي (ت:1400هـ) :
43. الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية في تونس، ط1، دار الثقافة، بيروت - لبنان، 1385هـ/1966م.
44. الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأولى: نشأة المذهب الإباضي، ط1، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، 1384هـ/1964م.

45. الإباضية في موكب التاريخ؁ الحلقة الرابعة: الإباضية في الجزائر؁ دط؁ المطبعة العربية؁ غرداية - الجزائر؁ 1985 م .
46. النامي؁ عمرو خليفة (عُيِّبَ: 1406هـ): دراسات عن الإباضية؁ ترجمة: ميخائيل خوري؁ مراجعة: د. ماهر جرار؁ دقق وراجع أصوله وعلق عليه: محمد صالح ناصر ومصطفى صالح باجو؁ ط1؁ دار الغرب الإسلامي؁ 2001م.
47. هود بن محكم الهوارى (ق 3 هـ): تفسير كتاب الله العزيز؁ تح: بالحاج بن سعيد شريفى؁ ط1؁ دار الغرب الإسلامي؁ بيروت - لبنان؁ 1990م.